فريحة - انيس

نظرة في معجم الشيخ عبد الله العلايلي

نظرة

في

معجم الشيخ عبدالله العلايلي

انيس فريحة

عن مجلة الابحاث الجزء الثاني
السنة ٧ ، حزيران ١٩٥٤
ص ٢٠٨ – ٢٢٥

نظرة

في

معجم الشيخ عبدالله العلايلي (١)

يقول الشيخ عبدالله العلايلي ، واضع المعجم ، في مقدمته (ص ٢٣) « ... فكل قارىء هو مدعو ، مع شكري ، الى ابداء الرأي حتى ولو مشوباً بالازورار ... » واننا نقبل الدعوة ، وسنبدي الرأي باخلاص لا بازورار ، اذ نحن بصدد قضية فكرية خطيرة : وضع معجم اللغة العربية العتيد ، وهي قضية لا تتحمّل المجاملة .

عندما تسلمت الكراس الاول من المعجم المتوسط (ص ٢٣) كتبت الى الشيخ شاكراً وقلت فيما قلته « ... وقد اتى الكراس الاول من معجمكم مكذباً لما قلته مراراً كتابة ومحاضرة من ان القاموس لا يضعه فرد ، لان ذلك فوق طاقة مخلوق . »

وقلت ايضاً : « ... انني ساقرأه قراءة محاسب .... وسنلتقي مرة اخرى

---

(١) المعجم ، موسوعة لغوية علمية فنية ، دار بيروت للطباعة والنشر ١٩٥٤ وقد ظهر منه الى الآن كراس واحد ، من ١ – اخين .

بعد ان اكون قد قرأت المتن .» وقد قرأت المتن، متن الكراس الذي ظهر، قراءة متأنٍ متفهم .

لا اشك في ان شعار الشيخ عبدالله ، عندما اقدم على هـذا العمل العلمي الخطير ، كان بيت المتنبي :

اذا غامرت في شرف مروم　　　فلا تقنع بما دون النجوم

وليس لي ان استرسل في التقريظ ، فقـد ظفر الشيخ منه بقسط وافر ، ولكني أوثر ان ابدي بعض الملاحظـات البنّاءة التي سيتسع لهـا صدر الشيخ عبدالله . والعالم رحب الصدر . وقد يأخذ بهـا وقد لا يجد لها مبرراً . غير اننا نود ابداءها الآن والمعجم لا يزال في الطور الاول من ظهوره .

بالرغم من اعجابي بالطموح الذي فاق طموح المتنبي في بيته الآنف الذكر ، وبالرغم من اكباري الجهد العظيم ، وبالرغم من تقديري للجلد الجرماني الذي ابداه الشيخ ، فانني لا ازال عند رأيي الاول : من يحاول ان يضع قاموساً مرجعاً للغة العربية تامّ الشروط بتاريخهـا المديد وبعدوّها الكثير انمـا يحاول المستحيل ، لان الأمر اعسر من ان تتحمله طاقة الانسان معرفةً وعمراً . وهـا هي قواميس اللغات الراقية على رفوف المكاتب تشهد انها ظهرت الى الوجود اولاً كنتيجة جهد فردي – كما فعل المعجميون العرب القدامى – ولكنها نضجت واستوفت شروطها في عصور متأخرة نتيجة الجهد الجماعي . ونحن لا نقول هذا انتقاصاً لعلم الشيخ ولا تثبيطاً لعزمه ، بـل لانها الحقيقة المجردة : وضع المعجم عملٌ جماعي يشترك فيه اللغوي كما يشترك فيه العالم والاديب والفيلسوف والفنان.

وقبل ان نبدي ملاحظاتنا نرغب في تذكير القارىء بحقيقتين قد تبدوان على شيء من الابتذال ، اولاً تعريف المعجم ، وثانياً حالة المعجم العربي الراهنة، وذلك ليتسنّى لنا تقدير معجم العلايلي تقديراً موضوعياً .

تعريف المعجم

هناك انواع كثيرة من المعاجم ، فمنها ما وُضع لاولاد المدارس الثانوية ، ومنها ما وضع للطلاب الجامعيين . وهناك معاجم للهجات ، واخرى لحقبة معنية من تاريخ اللغة ، واخرى لكاتب او شاعر ، اي ثبت بالمفردات التي استعملها في نتاجه الادبي . وجميع هذه المعاجم لا تدخل في نطاق بحثنا ، انما يهمنا المعجم المطوّل ، المرجع النهائي (Grand Thesaurus) . هـذا المعجم المرجع ، في عرف الناس ، كتاب في مجلد او اكثر تدوّن فيه مفردات اللغة كما اقرّهـا الاستعمال خلال التاريخ المدون لتلك اللغة . وقد سمي معجماً (واللفظة اسم مفعول من اعجم ، والهمزة هنا سالبة) لان وظيفته ازالة العجمة ، اي تفسير المعنى تفسيراً واضحاً دقيقاً وبلغة سهلة ، مع ذكر ما يجب ذكره عن ورود اللفظه في الاستعمال، وعن تغيّر المعنى بتغيّر الزمان او تطوره من عهد الى عهد، وعن الاصل والاشتقاق ، وهل اللفظة مماتة او حية .

حالة المعجم العربي الراهنة

ومعجمنا العربي ، كما يمثله « لسان العرب » « والتاج » «والقاموس» «ومحيط المحيط » ، وغيرها ، في حالته الراهنة ناقص تشوبه شوائب وتعتريه هنات نبّه اليها القدامى والمحدثون . فقد شكوا ، كما نشكو نحن ، من الفوضى في التنسيق والتبويب ، ومن الخلط بين مادة واخرى ، وعابوا على اصحاب المعاجم الخلط بين المعنى الحقيقي والمجازي (وقد حاول الزمخشري وابن سيده ، واحيانـاً الجوهري ، تلافي هذا النقص) واخذوا عليهم عدم الدقة في التحديد وعـدم تقصي المعنى ، واهمال ذكر المولد والعامي ، ولم يفلحوا في تفسير الدخيـل ، واخطر من هذه وتلك اعتمادهم روايات واستشهادات تفتقر الى الثبوت . ونحن لا نعيد ذكر هذه العيوب انتقاصـاً للخدمة الجلى التي اسداها اصحاب المعاجم القدماء انما نذكرها تبياناً للحقيقة : كان عملهم عملاً فردياً ، ووضع القاموس اعسر من ان يقوم به فرد . وها هو تاريخ معجمنا يشهد على صحة ادعائنا ،

فمنذ المحاولة الاولى التي اتخذت شكل اطروحات – في الابل والخيل والاطعمة والالبان والاضداد والنوادر .... الخ – الى المحاولة الثانية عندما وضع الخليل ابن احمد الفراهيدي كتاب العين (إن صحّت الرواية) ، الى المحاولات التالية التي قام بها ابن دريد والزبيدي والجوهري والقالي البغدادي وابن سيده والزمخشري وابن منظور والفيروزبادي وغيرهم ، نشهد عملاً فردياً يعتمد عملاً فردياً سبقه .

* * *

على ضوء ما تقدم ، لنا ان نسأل : هل وُفّق العلايلي في محاولته الجريئة ؟ وهل ينطبق تعريف المعجم على معجمه ؟ وهل تلافى النقص الذي شكا ويشكو منه الناس ؟

أما ان للشيخ عبدالله العلايلي فضلاً في محاولته الرائعة فأمر لا يحتاج الى اقامة دليل . وعندنا ان فضله على المعجمية العربية ينحصر في ثلاثة مبادىء يؤمن بها الشيخ ويؤكدها ويجهر بها. ونحن نقرّه عليها مع شيء من التحفظ في بعضها :

(ا) يحاول العلايلي ان يثبت قدرة العربية على التعبير عن الفكر العصري في جميع نواحي نشاطه ، وذلك لانها لغة اشتقاقية مرنة لينة مطواعة . واذا كان هناك من نقص بادٍ فيها فانما مرده الى نقص في ابنائها لا الى صفة ملازمة للعربية. ونحن نرى رأيه في حسنات الاشتقاق من حيث انماء اللغة انما نخالفه الرأي في ليونة العربية وطواعيتها ، وذلك لانها تتصف بميزات بدائية احتفظت بها من شأنها ان تقف حاجزاً في سبيل كونها لغة الحياة اليومية . واشدها خطراً الاعراب الذي اتصفت به اكثر اللغات القديمة، ولكنه سقط عنها عندما اصبحت هذه اللغات لهجات محكية تعبّر عن الحياة . وكل لغة ، كي تكون لغة صالحة حية تعبّر عن الحياة ، يجب ان تسير سيرها الطبيعي ، ومتى سارت سيرها الطبيعي فان اسقاط ما لا قيمة بقائية له يصبح امراً محتماً .

(ب) ومن فضل العلايلي على المعجميـــة العربية تأكيده التثبّت من معنى الجذر الاصيل . وهذا عمل جليل الفائدة يفتح امامنـا مجالاً لوضع حدّ للفوضى الضاربة في المعاني المتباينة لمشتقات الجذر الواحد، ويفسح امامنا مجالاً آخر لوضع مصطلحات جديدة على طريقة الاشتقاق العربية .

(ج) ويأخذ العلايلي بمبدأ « ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب » وبالرغم من ان هذا مبدأ قديم اخذت به مدرسة الكوفة (منافسة مدرسة البصرة التي كانت تقول بالسماع) فان احياء هذه المدرسة التجددية على يد الشيخ عبدالله العلايلي بعث لغوي يعود بالخير على المعجمية العربية .

ولكن ، الى جانب تقديرنا للعمل واكبارنا للاقدام، لا يسعنا الا ان نبدي للشيخ بعض الملاحظات التي تتناول المبادىء العامة لا الجزئيات المحدودة ونجملها فيما يلي : —

(١) المعجم غير الموسوعة والموسوعة غير المعجم

المعجم ثبت بمفردات اللغة وتفسير معانيها ووجوه استعمالها كما وردت في مدوّن تلك اللغة خلال العصور الادبية . والموسوعة سجل للعلوم الطبيعية والفنون والفلسفة والدين والتاريخ وغيرهـــا من مظاهر النشاط العقلي والروحي عند الانسان . والفرق بينهما ، سواء كان ذلك من جهة الغاية او الاسلوب ، جليّ واضح . ولا نعلم سبباً دعا الشيخ عبدالله للجمع بينهما في مؤلف واحد .

كنا نؤثر ان يكون عندنا معجم مرجع تام الشروط قبل الشروع بوضع موسوعة عربية . والموسوعة ليست من عمل الافراد انما هو عمل جماعي تتعهده المجامع او الحكومات او المؤسسات العلمية . وقد كنا نتغاضى عن اقحام الشيخ عبد الله مفرداتٍ موسوعية مثل ابتيمون، ابدّون، ابراكدابرا، الابراميس، ابوكساس، ابرياب ، ابستوايشي ، الابيسيدارية ، آجيو ، الاخردون ، الاخرناسية وغيرها لو انه اشعرنا ان هذه المفردات وردت في المدّون العربي ، كأن يقول لنا :

وردت لفظة ابراكدابرا في شعر الاخطل او في نثر الجاحظ ، ووردت لفظة ابستوليشي في شعر ابي نواس او في نثر المنفلوطي. فانه في حالات كهذه يتوجّب على واضع المعجم اثباتها واذا لم تكن واردة في اللغة فان اثباتها في المعجم تكلف.

ثم نحن نتساءل : هل وفى الشيخ هذه المفردات الموسوعية حقها من التفسير؟ فان لفظة ابراكدابرا مثلاً سامية، من الآرامية وليس من العبرية ولا من الفارسية. واللفظة مركبة من Abra + ka + dabra ومعناها « زائلة او عابرة مثل الكلمة »[1] . وكانت حروف هذه العبارة في العصور المتوسطة تكتب في مثلث متساوي الاضلاع (تحت تأثير الفلسفة العددية الفيثاغورية) هكذا :

a b r a k a d a b r a
a b r a k a
a b r a
a b
a

وتستعمل حجاباً اوتميمة يتعوذ بها المصاب بمرض . نحن نخشى ان تسفر محاولة كهذه (الجمع بين المعجم والموسوعة) عن مؤلف لا هو بالمعجم ولا هو بالموسوعة .

(٢) لم يبدأ العلايلي في وضع معجمه من حيث يجب ان يُبدأ به .

ان نقطة الانطلاق في وضع المعجم جمع المدوّن[2] اولاً وترتيبه ترتيباً زمنياً وتصنيفه تصنيفاً نوعياً . ثم تدوين المفردات ومعانيها كما وردت في هذا المدوّن. وهذا الاسلوب يتمشى والناموس الطبيعي: وضع القاموس ، اي تدوين المفردات وتفسير معانيها ، يتلو نمو اللغة وازدهارها واستعمالها كافة ادبية .

يشكو المتأدب العربي ، عندما يلجأ الى المعجم لتفسير مـــا استغلق من

(١) ربما كان الجزء الاول من الكلمة abda اي بائدة لا abra اي عابرة ، والمعنى واحد .
(٢) اي ما كتب في اللغة من ادب وعلم وفن ودين ... الخ

مفردات، من الفوضى البادية في المعاني المتباينة للجذر الواحد او للمشتق الواحد، فكانه امام آراء متناقضة جمعت على السنة الرواة دون تحقيق وتمحيص. نعم، ان تعميمنا هذا لا ينطبق على جميع مفردات اللغة اذ ان بعضها مثبت بالاستشهاد المعروف من مدوّن اللغة، ولكن كثيراً من المعاني المثبتة في معاجمنا ينقصها الشاهد المثبت.

واود ان أمثّل للقارىء الذي لا يعرف مشاكل المعجم العربي بحادثة وقعت لي اثناء تدريسي في الجامعة. فقد وردت في نص عبراني لفظة «حوب» ومعناها الاثم. ثم وردت في نص سرياني بمعنى المسؤولية ثم الدَّين. واذكر اني قلت للطلاب ان اصل المادة الاثم. واللفظة سامية مشتركة وردت في القرآن بمعنى الاثم «انه كان حوباً كبيراً» ومنه الحوباء. وورد في حديث (لسان: تحت مادة حوب) ان رجلا اتى النبيّ يقول: اني اتيتك لاجاهد معك. فقال: الك حوبة؟ قال: نعم. قال: ففيها فجاهد. وفي حديث ان ابا ايوب الانصاري عندما طلق ام ايوب قال له النبي: «ان طلاق ام ايوب لحوبٌ.» وظاهر ان معنى اللفظة في العربية، بناء على استعمال النبيّ لها، يتفق ومعنى اللفظة في العبرية والسريانية.

ولكن اذهب الى القاموس العربي وفتش عن معنى هذه اللفظة! فانها تعني، من جملة ما تعني:

«الابوان، الاخت، البنت، وذو القرابة يُعال، والحاجة، ورقة فؤاد الام، والمسكنة، والفقر، والهلاك والحزن وقيل الوحشة والوجع والشكوى، والضرب او الفن، والاثم، والحوبة الرجل الضعيف، والحوب النفس وقيل روع القلب، والضخم من الجمال، وزجر الجمل و...»

على واضع المعجم، امام هذه الفوضى في المعاني، ان يتأكد اولاً من صحة الرواية والاستشهاد، فانه ليخامرنا (كما خامر القدماء) ريب في ان هذه الروايات

والاستشهادات تفتقر الى ثبوت . ولذا قلنا ان نقطة الانطلاق في وضع معجم مرجع هي جمع المدّون وتسجيل معاني المفردات كما اقرها الاستعمال. ولا بأس، عند غموض المعنى وتضاربه ان نرجع الى اخوات العربية، او الى الحدس المعقول وابداء الرأي الشخصي على ان يكون متبوعاً بعلامة السؤال (؟) دلالة على عدم اليقين .

ومن هنا يدرك القارىء معنى قولنا مراراً وتكراراً ان عمل القاموس عمل جبار يحتاج الى تضافر قوى جماعة كبيرة من الناس ! نعم ان كثيراً من المفردات مثل اكل وشرب ونام لا تحتاج الى كبير عناء في الاستشهاد والرواية ولكن عندما نأتي الى لفظة مثل « حوب » علينا ان نرجع الى المدوّن للتثبت من ورودها ومن معناها .

سيقول الشيخ عبدالله : ولماذا لا ينتظر انيس فريحه الى ان اصل الى جذر « حوب » فيرى ما سأقوله ثم يحكم علي او لي ؟ ونحن لم نستشهد « بحوب » لانها وردت في معجمه فهو لم يصل بعد الى حرف الحاء ، انما رغبنا في تبيان الفوضى الضاربة في المعجم العربي للقارىء العادي والتي نرجو ان يتصدّى لها الشيخ عبدالله العلايلي في عمله المعجمي . ولكن يبدو ، مما لدينا من معجم العلايلي ، ان المشكلة (مشكلة حوب) لا تزال قائمة في كثير من المفردات . فان الشيخ يقول تحت مادة ابض (ص ٤١) :

« ابض — ... المطلق من الحيوان : عقله بشد رسغ يديه الى ذراعيه . وابض المقيّد خلاه ، وابض مصارعه : اصاب عرق إباضه . وابض الغلام : احتمله بجعل يديه تحت ركبتيه . وابض المتحرّك: سكن . وابض الساكن : تحرّك....... وابض الفرس: تقبض نساه وتشنج...»

فما معنى « أبض » ؟ حسب ورودها في المعجم العربي ، وعنه اخذ العلايلي، تفيد الربط والتقييد والفك والاخلاء والحركة والسكون والتشنج ! ! ! اذا كان

المعجم المرجع العتيد لا يستطيع حلّ هذه الاحاجي فسنبقى في هذه الحلقة المفرغة.

(٣) تشتق المفردات الموضوعة من المأنوس ولا تكون جزءا من المعجم

وقد تسرّع الشيخ عبدالله واشتق كلمات جديدة لمعاني جديده نفتقر اليها العربية من جذور مماتة او في حكم الممات. نحن نؤيد الشيخ في المبدأ، ونؤمن ان له من الحسّ اللغوي ما يؤهله للقيام بهذا العمل الخطير، ولكننا لا نفهم لماذا اندفع في الاشتقاق والوضع من جذور وردت في كراسه الاول مثل: اب ابت ابث ابج ابخ ابز أبش ابض ابل اتب اتد اتش أثأ .... الخ

ولم يشتق من المأنوس المألوف الذي له كيان ومعنى في عقول العرب. فمن جذر «أبّ» مثلًا يقترح شيخنـــا «الآبّة: آلة تجفيف الفاكهة» واية آلة هي هذه؟ ولماذا لا نشتق لها اسماً من جذر «جف» او «نشف» او «يبس»؟ وكذلك يقترح من الجذر ذاته «ابابـــة» في مقابل الانكليزية mechanurgy (كذا!): «فرع من الميكانيكية يبحث في الآلات المتحركة، والابّاب: مطلق المحرّك في الآليات». ولماذا لا نشتق كلمات لهذه المعاني الجديدة التي تفتقر اليها العربية من جذور مأنوسة مثل «حرك»؟ ويتابع الشيخ اشتقاقه من المادة ذاتهـا فيقترح: «ابيبة: الجهاز في الآليات خاصة (appareil) وابيبة اصدار: لاسلكي» ولكن لماذا هذه الاشتقاقات من «أبّ» وليس من بث، صدر، ذاع او مما هو اليها؟ ومن جذر ابج يشتق «أباج دليل المتاحف المصور» وإباج الكتلة الضخمة من الزمن (؟) المرتسمة بآثارها في المكان والكائن (؟) اي المزاج الزمـــاني المكاني الحيوي (؟) وتنـدرج تحتـه العصور، تقول الاباج القديم (فر Paleolithique)[1]...» ثم ان الشيخ يشتق الفاظاً جديدة من مادة «أبض» (ص ٤١) المماتة او التي هي في حكم الممات، او الثقيلة السمجة. واننا

(١) علامات الاستفهام من عندنا وليس من متن المعجم، دلالة على اننا لا نفهم تماماً ماذا يريد ان يقول. لفظة Paleolithique بسيطة مفهومة وقد ترجمت الى العربية بالعصر الحجري القديم، وكفى الله المؤمنين القتال!

ننقل الى القارىء بعض ما ورد تحت هذه المادة « .... اخو اباض المتهجم العاقد مابين حاجبيه ضيقاً، ومولّد حديث في مقابل الفرنسية frein : اداة توقيف او تخفيف سير الآلة... » وكيف يريدنا الشيخ ان نعربها ؟

هذا اخو إباض

اشتريت أخا إباض

ضغطت على اخي إباض

ومن المادة ذاتها يضع « إباضة : فن ادوات الربط عامة كالفرامات ومـــا يشبهها ونظريتها ومعادلاتها الرياضية ... » ولماذا لا ينتظر الشيخ ، في تشوفه الى الاشتقاق ، الى ان يصل الى مادة ربط، كبح ، ردع ، وقف، او ما هو اليها؟

وادهى من هذا ان يضع الشيخ مفردات جديدة لمعاني جديدة غريبة لا نشعر بالحاجة اليها البتة ، لانه يمكننا ان نعبّر عنها بطريقة ايسر واجمل وافصح. خذ مثلاً ما يضعه الشيخ من مشتقات من مادة « أبث » (المشبوهة المطعون بصحتها !): «.... في الاصول اللغوية اضطراب بمعناه نتيجه التصحيف . ففي « اللسان » وقع بمعنى الفقر وفي « التاج » بمعنى القفز » ويرجح الشيخ القفز ، ثم يشتق :

« أباث : نفسيا ما يمكن ان يسمى بعصاب الترف .

أباثة : النازعة في دور انحلال الخصائص او تقهقرها عند الطبقات المترفة .

إباثة الفن الترفي المنحل وهو يتنـــاول اسلوب العيش والسلوك والاثاث والموسيقى .

أبّاث : المصاب بشذوذ جمع التحف الزخرفية وهو شكل من اشكال مـا يسمى في مدرسة التحليل النفسية بالجمّاع the collector المندفع الى هذا الجمع برغبات غرامية لذية غير مشعور بها .

أبث : فساد خصائص الاصل فيقابل فر abâtardissement .

أبثان: اسلوب السلوك الخاص بالطبقات المترفة وانماط حركاتهم وتصرّفاتهم».

ونحن نقف امام هذا السيل من الاشتقاقات حيارى، لا من جهة المبدأ فاننا نقره عليه ، ولكن من جهة ضرورة هذه الاشتقاقات. هل العربية الحالية عاجزة عن التعبير عمـــا ذكره الشيخ حتى نلجأ الى فعل ثقيل سمج ممات ؟ وهل هذه الحالات التي تكلم عنها الشيخ تحتاج الى مصطلحات جديدة ؟

وبهذه المناسبة نبدي الملاحظـــات التالية : (ا) لا تولد اللغة في مختبر ولا توضع في مؤتمر حول طاولة مستديرة . يخلق اللغة الناس : علماؤهم وشعراؤهم وفلاسفتهم وفنانوهم .

(ب) عمل المعجميّ ان يُعَمِّد الكلمة الجديدة ويباركها ويسجلها في معجمه لا ان يضـع هو اللفظة ، ولا سيما اذا لم يكن وضعها من اختصاصه . وضع المصطلحات الجديدة منوط بالعالم والاديب والفنان والفيلسوف الذين يعالجون قضاياهم معالجة علمية واقعية ، وهم اخبر من اللغوي فيما يرمون اليه .

(ج) يستحسن ان تنشر المصطلحات الجديدة في كراس خاص او في مجلة علمية وتترك للزمن الذي يعمل كمحك لصلاحيتها . فان شاعت وقبلهـــا الناس ادرجت في المعجم والا فانها تبقى مجرد اقتراح . لان ايرادهـا في متن المعجم من شانه ان يحمل الناس، ولو لا شعورياً ، على التسليم بقبولها .

(٤) التثبت من معنى الجذر الاصيل لا يتحمل الحدس والخيال

ويرمز اليه الشيخ عبدالله في معجمه بِ « حد» اي الوحدة الاشتقاقية وحكاية تطور الجذر . وقد المعنا آنفاً الى اهمية هذا البحث والى فضل مؤلف المعجم في التأكيد على هذه الناحية اللغوية . والتثبت من المعنى الاصيل ليس امراً سهلاً في كثير من الجذور ، ولكن لا مجال فيه للحدس والخيال .

ان الاسلوب المتبع في هذا الشأن يحتم على الباحث ان يتقصى معاني المشتقات، كما وردت في الاستعمال ، علّه يرى فيهـــا المعنى الذي يكون بمثابة « المخرج المشترك » . واذا كان التفاوت بين معنى وآخر ، في الجذر الواحد، كبيراً يلجأ

الباحث الى اخوات اللغة التي يعنى بها . وقد جرى على هذا المنوال المستشرق الشهير Gesenius عندما وضع معجمه للغة العبرية ، وتابعه في ذلك الذين اتوا بعده . وقد جاء معجمه آية في الدقة ومثالاً للاسلوب العلمي . فانك ترى بعد الجذر قوسين بينهما ذكر المعنى الاصيل ، ولكن بكلمة او بكلمتين كان يقول اصل المادة النزول او القعود او القطع او العلو... الخ وكثيراً ما تقع عينك على .dub اختصاراً لكلمة معناها مبهم ، غامض . وترى احياناً علامة استفهام (?) ، دلالة على الجهل . وفي كل حالٍ لا نرى حدساً ولا خيالاً كما فعل الشيخ عبدالله ، فانه يرى في اكثر المعـــاني الاصيلة اسطورة ، او « ترهية » حسب مصطلحه ، او صورة دينية او عقائدية ، فكأنه نسي او تناسى قانوناً لغويـــاً لا يشك في صحته :

المعاني الاولى مادية محسوسة ملموسة ، غير ان اللغة تصّعد اي ترتفع بالمعنى من المحسوس الى المجرّد المعنوي كما صعدت العربية العقل من الربط والنفس من التنفس والمجد من امتلاء بطن الدابة !

ونحن نأخذ على الشيخ عبدالله ، في هذا الباب ، ايغاله في حدس لا مبرّر له كما فعل عند بحثه مادة ابس ابق ابل ابد اخر فان اكثر العرب لا يستطيعون مجاراته في هذا النظر الممعن الغامض .

الراجع الى القاموس يريد المعنى خالصاً مختصراً صريحاً واضحاً كان يقال له اصل المادة كيت وكيت وكفى . اما ان نرجع الى عصور سحيقة في القدم ونربط معنى الجذر « بترهية » ما فامر يعرّض صاحبه الى مزالق هو بغنى عنها . فعند كلامه عن مادة « ابد » كان عليه ان يقول ، وبين قوسين (واصل المـادة الخراب والقفر والهلاك) لان هـذا هو المعنى الاصيل للفظة بعد تحقيقنا لها في معاجم اللغات السامية التي بين ايدينا. وكذلك عند كلامه عن مادة « اخر » فقد جزم ان معناها القديم « القبر » ونحن نرفض هذا الرأي لان معـــاني الجذر في مختلف اللغات السامية يدل على التأخر والمؤخرة والاعاقة (ضد معنى امام) .

ثم ان اللغة التي يستعملها العلايلي عند تفسير معنى الجذر على غاية من التعقيد، والمعجم لازالة العجمة لا للزيادة منها. يقول تحت مادة ابج (ص ٢٩) «العزم العتيد في الهوامد فاشتق منه لما اكتسب صفة الديمومة بظروف طبيعية» وهذا كلام لا نفهمه، لان مادة ابج ممانة، والشيخ نفسه يشير الى القلق المستحوذ على هذه المادة. ثم يقول تحت مادة ابخ (ص ٣٠) «العزم الفاعل تحت ضغط انفعالي... «وتخصيصاً» التأنيب المنصب على الفعل ذي المنهج المنحرف» وتحت مادة ابر (ص ٣٢) يقول «العزم النافذ بفعل منشىء او قل بمس خالق ...» وتحت مـــادة ابض (ص ٤٠) «معقد عزم الحركة الواقع بين مرتكزين، ينثنيان او ينقبضان...» وتحت ماده ابق يقول «العزم المستقوي وذلك في دائرة ما هو مطبق محصور، فاشتق منه الاباق لكسر الطوق المعنوي تمرداً، والتأبق لحبس اللبن في الضرع حروناً ... ومجازاً نقل الى مطلق التمنع كالانكار والتواري والتأثم.»

وملاحظتنا في هذا الباب ان لغة الشيخ معقدة غامضة لا يستطيع فهمها جل الراجعين الى القاموس. وهناك امر حيوى نرغب في ان نصارح الشيخ به: هذه الجذور ميتة وماتت لان الحياة العربية نبذتها والميت لا معنى له، فلماذا هذا العناء؟

(٥) اهمال ذكر الممات

وكما انه من عمل المعجمي تفسير معاني المفردات وذكر المولد والدخيل عليه ايضاً ذكر الممات في اللغة.

من الامور المقرّرة الثابتة في «علم اللغة» (linguistics) ان جوهر اللغة التركيب وان المفردات عرض، لانها تولد وتعيش وتهرم ثم تموت. اما التركيب فجوهر ثابت في كل لغة. ويشكو معجمنا العربي من تخمة الممات فيه. وكنت اتمنى لو ان احداً من الناس تصدى لاحصاء الممات في معجمنا ولكني لا اعلم ان احداً جاهر ولو باحصاء تقريبي. اما انا فاجرؤ واقول ان ربع «اللسان» ممات. ويتساءل الواحد منا ما مستقبل هذه الكلمات في معجم اللغة؟

وعندي ان مشكلة المعجمية العربية ، في هذا الباب ، تنحصر في امرين :

(ا) التأكد من ان اللفظة وردت حقاً في مدون ما ، لا بناء على رواية بدوي اتى المربد فوجد جماعة يتخاصمون في معنى لفظة فكان يحل لهم المشكلة على ايسر وجه ! وتمثيلاً على اهمية التأكد من ورود الكلمة في مدون نذكر ما جـــاء في معجم العلايلي تحت مادة أبَزَ : « ... وأبزَ بالجبان اخذه على غرة فمات... » هل استطاع العلايلي ان يقول لنا من استعمل هذه اللفظة بهذا المعنى واين ، ومتى ؟ وكذلك يورد العلايلي (ص ٤٣) « أبِـكَ الرجل كثر لحمه فحمق » . هل وردت ؟ من استعملهـا ؟ وهل اذا اكتنز لحم الرجل ولم يحمق نستعملهـا ، ام علينا ان ننتظر قرناً من الزمن لكي يكثر لحم زيد من الناس ويحمق لنقول : أبكَ زيدٌ ! وما قولك في « ... ائتشى ائتشاء . ائتشى الرجل الطعام فارقته شهوته » (ص ٧٤) ؟

ان المرء ليحار بامر المعجم العربي الذي يحتوي على الفاظ غريبة نادرة لا تخطر على بال انسان بينما الدنيا حولنا تعج بالوف الاشياء والوف المعاني التي لا الفاظ لها: النبات، الحيوان، الالبسة ، الاثاث ، المختبر ، الآلات... الخ ولكن اذا صدف ان زيداً من الناس اخذ عمرواً من الناس على غرة ، وكان عمرو ضعيف القلب ، فمات بسكتة قلبية ، فان العربية تعبر عنهـا اجمل تعبير : أبَزَ زيدٌ عمرواً !

(ب) والأمر الثاني ، وهو نتيجة لمـا سبق ذكره ، وجوب اضافة كلمة «ممات» بعد الالفاظ التي هي في حكم الممات واقعاً ، او على الاقل يقال « هكذا وردت في المعجم » او علامة السؤال دلالة على اننا لا نعرف من امر الكلمـة كثيراً . المعجم المرجع للغة العربية يجب ان يتكفل هذا الامر . عليه ان يقول للناس هذه لفظة مماتة ، او قلقة ، او مبهمة او لم ترد في المدون العربي ، او يشك في معناها ليكون المرء على بينة من امر الكلمة . وكنا نترقب ان يقوم

بهذه الخدمة الجلى للعربية شيخنا العلايلي . ولكننا نخشى ، ان هو لم يفعل هذا ، ان يأتي معجمه في معظمه نسخاً عن القدماء .

(٦) عنـد تفسير معاني المفردات لا يستعان بلغة وبلغتين اجنبيتين

لانه لا يفترض في كل راجع الى المعجم ان يعرف لغة أجنبية . ليس لدينا اقل اعتراض على معجم يثبت المصطلحات الجديدة من مولدة ومعربة ودخيلة ثم يذكر مقابلها في لغة اجنبية معروفة كان يقول مثلاً « المشع »: radioactive. هذا ضروري احياناً تحديداً للمعنى والاستعمال. ولكن ان يلجأ العلايلي لذكر الواضح المفهوم فعناه هو بغنىً عنه ، ونفقات طبع لا مبرر لتحملها . ومثال على هـذا يقول العلايلي (ص ٢٨) : المأبون : المتهم (فر suspect) وص ٩٠ تحت مـادة اخذ : « واخذ الشيء تناوله بحيازة (انج receive ; to get) واخذ حذره : تهيأ (انج to take care) [١] واخذ الجائزة : نالها (انج to get, to obtain) وص ٩١ يقول « ... وفي التنزيل . « لا تواخذني بمـا نسيت » (انج excuse me) [٢] . ولا يسعنا الا ان نقف متسائلين: هل ترجمة هذه الكلمات الشائعة المعروفة الى لغة اجنبية ضرورة لغوية ؟ هل هناك من فائدة ؟ ولماذا لم ينقل كل عبارة عربية الى مقابلها الاجنبي اذا كان مرامه وضع معجم عربي - انكليزي او عربي - افرنسي؟ ثم لماذا اللجوء الى اللغتين الفرنسية والانكليزية عوضاً عن الاكتفاء بلغة واحدة ؟ وقد لحظنا ان الشيخ عبدالله ، عند ذكره المقابل الفرنسي او الانكليزي يشعر شعوراً لا واعياً انه قـد فسر الكلمة العربية المعنية مفترضاً ان الراجع الى القاموس يعرف اللغة الاجنبية كما فعل عند تفسيره «لا تواخذني بما نسيت» اذ اكتفى بذكر المقابل الانكليزي . وهذا كثير في معجمه. ونحن لا نشك ان هذا السهو

(١) تهيأ لا تفيد ما تفيده أخذ حذره و to take care تحتاج الى حرف جر ، واذا تبعها حرف جر ، مثلاً of يكون معناها اهتم وحرص وانتبه الى الشيء .

(٢) لا نظن ان عبارة *excuse me* تؤدي ما تؤديه عبارة التنزيل (الكهف ٧٤)

سببه ايراد المقابل الغربي، ولو انه لم يورده لاضطر الى تفسير الكلمة العربية بكلمات عربية .

يجب الفصل بين معجم العربية المرجع لاهل العربية وبين المعجم العربي – الانكليزي (او الافرنسي) لاهل العربية ولغير اهلها. وكنا نترقب ان يكون معجم العلايلي « المعجم المرجع » لاهل العربية .

(٧) الفصح النهجية

يقول الشيخ عبدالله في مقدمته ، عند ذكره حسنات المعجم (ص ٢١) :

« ١١ – تعقيب كل جذر بطائفة من الجمل الفصيحة المروية بعنوان « فصح نهجية » ونعني بها الكلمات الاتباعية التي جاءت ماشية مع عمود العربية ، فنحن نضع كلمة نهجية في مقابل كلمة classique .... »

والراجع الى القاموس يرحب « بفصح نهجية » اذا كانت من النوع الذي يعينه على فهم معنى الكلمة وحسن استعمالها وتبيان وقعها ، واذا كانت حقاً « نهجية » اي كلاسيكية (ونحن نفضل لفظة كلاسيكي على نهجي) . ولكننا على اختلاف مع الشيخ عبدالله في مفهوم الفصاحة والكلاسيكية ، فالفصاحة (ومنها فُصَحٌ) مصدر فصح واصل المادة الابانة والكشف والازالة. والفصيح في اللغة ما كان سهلاً على اللسان واضحاً في العقل . والكلاسيكي هو ما خلد ، ادباً كان ام فناً ، لجماله وروعته واثره . الكلاسيكي هو الذي ابقت عليه الحياة رغم عوامل الهلاك والفناء وذلك لاعجاب الناس به على ممر العصور . ونحن نقر الشيخ على المبدأ : تعقيب كل جذر « بفصح نهجية » تكون نموذجات للاجيال الناشئة . ولكن الشيخ لم يعقب كل جذر ، وحيث عقب الجذر بفصح فانه اتانا بما لا ينطبق عليه مفهوم العبارة «فصح نهجيه» بل اتى الامر على نقيض هذا فان الشيخ رمانا بعبارات قاسية جافة خالية من عناصر الفكر والجمال. والعبارة الكلاسيكية تخلد بقالبها وبمعناها !! فاين الفصاحة واين الكلاسيكية في هذه الفصح :

« لا بد مع الرطب من سلاء النخل ، ومع العسل من ابر النحل ... خبثت منهم المخابر فمشت بينهم المآبر » (ص ٣٥) .

« ما عنده الا أباشة وهو يأخذهم ببشاشة » (ص ٤٠) .

« كانه في الاباض من فرط الانقباض » (ص ٤١) .

« هجير أجاج للشمس فيه مجاج » (ص ٧٦) .

« طلب الاجرة فاعطاه الآجرة » (ص ٨١) .

« الموت لا تنجو منه الاسد في الآجام والملوك في الآطام » (ص ٨٦) .

« يفسد المرء المجون كما يفسد الماء الاجون » (ص ٨٧) .

وملاحظاتنا عليها وعلى امثالها من الفصح انها متكلفة، عنصر المهمات فيها قوي، وهي اقرب الى التلاعب اللفظي منها الى العبارات ذات المعنى اللطيف . ثم ان الشيخ لم يذكر لنا المصدر الذي اخذ عنه هذه الفصح. واما اذا كانت من وضعه فلا يحق له ان يسميها كلاسيكية ، بل كان عليه ان يبقيها للزمن ليقول كلمته فيها . وليس لاحد من الناس ان يفرض عباراته واقواله فرضاً بقوله : خذوها فصحاً نهجية . ثم نزيد ، ختاماً ان نسأل الشيخ : هل يريدنا ان نعود الى مدرسة الهمذاني والحريري واليازجي؟ الا يرى ان عصر المقامة قد ذهب الى غير رجعة؟

الا يرى معنا الشيخ ان الذوق العربي قد تغير وان الناس ينظرون في المعنى قبل المبنى ؟ في الادب العربي فصح نهجية كثيرة : في القرآن ، في نهج البلاغة في كتابات ابن المقفع والجاحظ وكثير منها في نثرنا وشعرنا الحاضر . ونأمل ان تكون الفصح النهجية في الكراريس المقبلة مقتبسة من ادبنا الكلاسيكي .

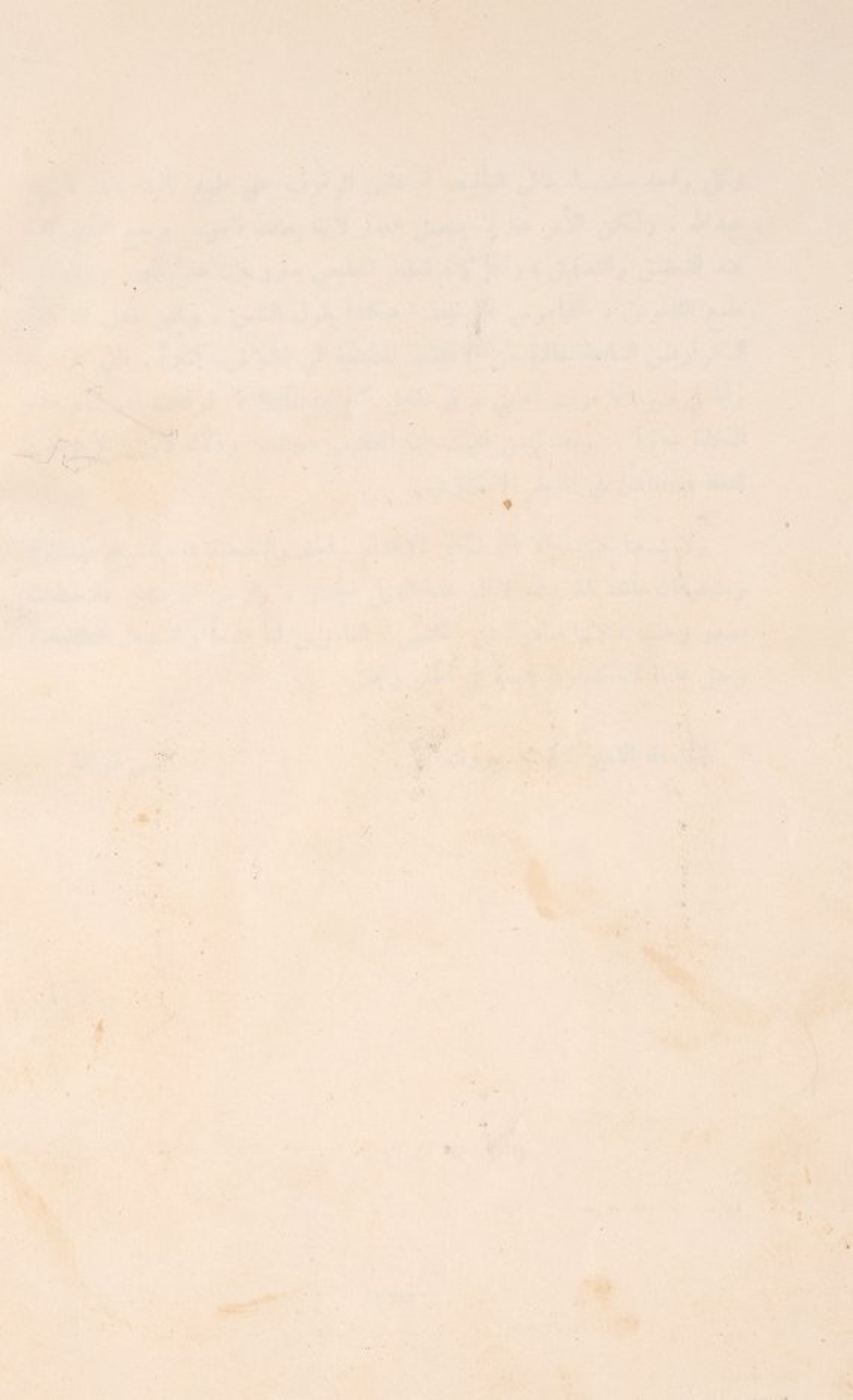
(٨) الاغلاط المطبعية

ولن نحمل الشيخ تبعتها لان المؤلف في بلاد الغرب يرمي بمخطوطته الى الناشر وهذا يتعهدها بالنشر والطبع الجيدين. وفي الغرب أناس مهمتهم قراءة المسودات.

وكل واحد منــا عانى التأليف ثم عانى الوقوف على طبع تأليفه يعذر الشيخ عبدالله . ولكن الأمر هنا لا يتحمل العذر لاننا بصدد قاموس يرجع الناس اليه عند التحقيق والتدقيق ، واذا كان للغلط المطبعي مبرر فان هذا المبرر يزول عند طبع القاموس . القاموس لا يغلط ! هكذا يقول الناس . ونحن نأمل ان تأتي الكراريس التابعة خالية من الاغلاط المطبعية التي تشوّش كثيراً . فاني اذكر، وأنا في ص ٧٦ مرت امامي « فى مقابل انج Salima » فوقفت امــام هذه الكلمة حائراً . وبعد زمن فقهت ان المطلوب Salina وذلك لان لا وجود للفظة Salima في المعجم الانكليزي .

ولا يسعنا ختاماً الا ان نكبر الاقدام والجلد والتضحية عند الشيخ عبدالله ، وندعو ان يأخذ الله بيده لاتمام هذا العمل الجبار . ونرجو ان يتقبل ملاحظاتنا بصدر رحب ، لانها صادرة عن اخلاص . القاموس لنا جميعاً وللاجيال الطالعة ، وحق علينا ان نتعاون جميعاً في الخير والحق .

الجامعة الاميركية — بيروت   انيس فريحة




492.73:F84nA:c.1
فريحة ،انيس
نظرة في معجم الشيخ عبد الله العلايلي
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01025830


AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
UT VITAM HABEANT ABUNDANTIUS HABEANT
1866
الجامعة الاميركية في بيروت